48423

صرخات .. ونكبات

قصة// محمد جميل

دار روعة للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

٢٠١٣

"صرخات ونكبات"
رواية

الكاتب/ محمد جميل

غلاف/ هبة البارودي

الطبعة الأولى
٢٠١٣

دار روعة للطباعة
والنشر والتوزيع

المدير العام / هبة الشرقاوي
هاتف / ٠١١٤٠١٧٨١٤٤
darrawaa@yahoo.com

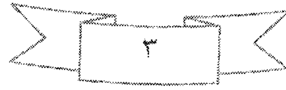
رقم الإيداع/ ٢٠١٣/٨٩٧٧٢
الترقيم الدولي//
798-977-6411-76-8

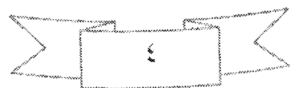


الإهداء//

"أهدي باكورة أعمالي إلى أمى الحبيبة وأصدقائى وأحبائى"

محمد جميل




٤

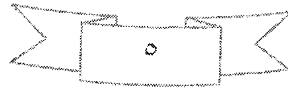
" لا تنظر إليَّ ساخرا

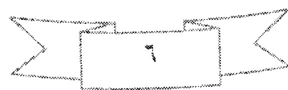
فما ذنبى بفقرى؟!

أنا مثلك طيبا

فكيف تعايرنى بأهلى؟!

محمد جميل




٦

صرخات .. ونكبات

وجد هدوءا بعد طوافٍ طويل داخل أرجاء المدينة فى بهو منزله الصغير المعدوم من وسائل المعيشة ، المحدود الإمكانيات،عتيق اللون و الأرائك التى لا تتسع لأكثر من جالس ، أرضيته أسمنتيه رديئة باللون الأحمر ، البهو غير منقح، الإضاءة باهتة ، فرشه بسيط مغبر، سجاده مصنوعة من الصوف ممزقة الأطراف ، يجلس عليها كمال ،يرتب بعض الأعمال الخاصة، ويرصها بتناسق، فهو يعمل بتجارة البيض ،كمال رجل قصير القامة ، أسمر الوجه ، شعره ملتوى ، صوته أجش ، راجح العقل ، طيب الطباع ، خفيف الروح، فقيه ، قوى الجانب، فى منتصف الأربعينات



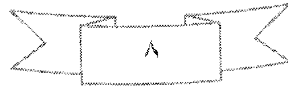
من العمر ، وبالإضافة إلى ترتيبه لأعماله، كان يحسب ما باع من تجارته، وكم ربح منها أو خسر.

بعد الإنتهاء، قرر قضاء وقت فراغه فى مشاهدة التلفاز لإراحة نفسة من عناء العمل، بعد ذلك صنع فنجانا من القهوة ، قليلة السكر،وارتشفه بمزاجٍ رائق.

*****

جاء إلى بيته رجلين، على غير انتظار طرقا باب منزله وهما محمود، رجل عجوز، منحنى الظهر، يرتدى جلبابا أبيضا، وسعد، ذلك الرجل المريض بشلل نصفي فى يده اليمنى وقدمه اليمنى، يرتدى ستره زرقاء غير نزيها وقد بلغت نهايتها، ملامحه دميمة، أنفه طويل، وجبهته مسطّرة كالخطوط

وكان كمال يعرفهما من ذى قبل، فرحب بهما ترحيبا كبيرا، تصافحوا وتعانقوا بشدة، وجلسوا يتسامرون،

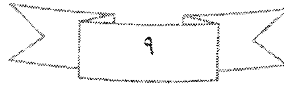


وبعد مقابلته الرفيعة، لـم يمض كثيرا من الوقت حتى سـألاه التـدخل لفـك طلاسـم مشـكلة تخصـهم فـى القضـاء ، وهـى عبـارة عـن إضـرار بمسـكن الحـاج محمود، فعهد لهما بحلها ولم يخلف وعده.

*****

توجه إلى مسكنه، الـذى يقـع فـى قريـه ريفيـة صـغيرة المسـاحة، هادئـة المنظر،موضـع دخولهـا الأراضـى الزراعيـة، أشـجارها فارعـة الطـول، كثيفـة ،خضـارها واضـح، تحلـق فوقهـا العصـافير وتـدور، كانـت تلـك القرية قريبة من مدينته، فما أجمل الريف! .

وجد الشرطة منتشرة وحاضرة ، ومع نظراتهم المترقبة، وأسـئلتهم الخبيثـة، والكثيرة،كـان المنظـر غليظـا ومؤسفا.



أتت امرأه من مسافة قصيرة، فى أوائل الثلاثينات من عمرها، مشرقة الوجه كالحليب الرائق، قصيرة القامة، رشيقة القوام ، متلألئة، فريدة الطلة ، تحمل على وجها غمنة، ترتدى جلبابا فضفاضا منزها ، طرحتها مطرزة ذات لونٍ مبهر ومزهزة ، أعطت للمكان ضوءا أقوى وأسطع من نور القنديل، ونضارة أكثر، وبرغم كل هذه السمات، ظهر على وجهه تعبيرا متباينا عابسا بما وقع، فدنت منه هذه الجميلة، لتحيه بطريقة إسلامية صحيحه (تلقون فيها تحية وسلاما كما قال المولى عز وجل)، فمدت يدها الصغيرة ،وصافحته باحتشام فقد قالوا قديما يظل المرء ما استحيا بخير ويبقى العود مابقى اللحاء فلا وابيك مافى العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء ،

نادته بصوت منخفض ومميز به بحه كأنها تطرب ، رغم أنه ليس من قومها ولا من بلدها، وهذا ما أثار تعجبه،

فرفع رأسه نحوها،وشده أدبها المشهود عن بنات القرية، تسائل بباطنه،هل سمعت عنى من خلال عشيرتها؟أم ماذا؟ فرد التحيه بعنايه ثم أعتدل فى مجلسه، وبخفة دمه وروحه، رغب منها أن تعد له فنجانا من الشاى المحلى بالسكر، لكى يخفف من حالتها، فحالتها تشبه خروج الروح من المحتضر، وتخيل له أيضا أنه يعرفها منذ زمن بعيد، وأنها لم تكن المرة الأولى التى يراها فيها،فمنحه ذلك دفأً بأنه شخص منهم، لكنه شعر بإحساس أخر، أن هناك جورا عظيما واقع عليها من خلال مارآه، عندما ألح زوجها المريض سعد، الذى لم يكن يعرف بأنه زوجها ، طالبا منه مداواته ، فبجانب عمله بالتجارة كان يمتلك خبرة واسعة

بـالعلاج الطبيعى، ظـل يداويـه لفتـرة ، فعـرف بأنهـا متروكـة كرسالة مهملة ، عينيها يتحكم فيهما الوهن والعزلة ، تعيش كوارث أسرية كابدة وذات أثر، عقد العزم على نجدتها من هذا الهرج السام الذى كابدها، فسعى إلى أن يصبح حبيبا لأخيها حسن وظل يجتلب وده ليحصل على مايريد.

*****

فى وقت قصير، أصبح رفيقا لعائلتها، وزادت الزيارات للأنس والسلام عليهم، وهي تتمتع بالمهابة والإجلال، وإستنادا لذلك، تيسر للأخ أن يظهر عليه، فى ليلة شتوية ، السماء مائلة للسواد، وماء سحابها غيم وممطر، وقد زلت حركة الأقدام من ثقل الأرض بطينها.

وكان قد عكف على مساعدة والده بالعمل معه فى التجاره، من رأس ماله الحر، فصادقه دون تعويق ، لتحقيق هدفه فى عدم تفويت الفرصة التى أتيحت له ليحقق النجاح في الوصول إلى مسعاه واغتنامها، والتى أصبحت تمثل له مناسبة فذة، كما أصبحت هى كل آماله .. "سلوى" تلك المرأة التى مال الدهر عليها وزال عن استوائه كالشمس التى زالت عن كبد السماء وقاربت الغروب

*****

وذات ليلة ،دخلت وهى غارقة فى دموعها ، يسيل منها الماء طواعية وانهمارا ويتساقط على خدودها الحمراء،ليعطيها لونا أخر أسود ومسرطن،

– سألها والدها ما بك؟



– فقالت له وهى مقلوبة السحنة أن زوجي يتطاول علي ، بيننا عراك مستمر، وإساءات لم تنفصل، وأصبح جسدي لا يقدر على تحمل الألام، كأن مسامير تدق فيه ،فجسدها أصبح مثقوبا ، مشقوقا كأرضٍ دشت

– انظر ماذا حدث لى من إصابات نتج عنها أذى ؟ فهدأها ،وتنحنح بصوت عالٍ، وطلب منها عدم الرجوع إليه مهما كانت العواقب،فلن تصلح الأوضاع بعدما فسدت.

*****

وبعد ساعة أتى زوجها متتبعا إياها ، بهيئته الرديئة المجربة، وحذاءه المهترئ إلى منزل والدها يتوسط الرجوع،

- لقد ضاق بأهلها لما يحدث،



- ماذا حدث؟

- لقد أذنبت فى حقها

- هى تعرض عنى ولا تعطينى حقوقى فحاولت تأديبها

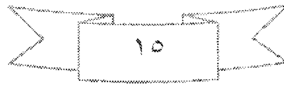
- تأدبها أم تخدش مشاعرها؟!

وأثناء الحوار الحاد ، تدخل كمال للإصلاح بينهما،

– فقال: كان بإمكانك ألا تلحق بها ضررا ،وإن حدث ذلك، فالأرجح أنه لا أمل فى العيشة بينكما، والتسريح بمعروف أسلم، فعادت بعد أن أخفق رجاؤها.

*****

وبعد فتره قليلة أتت وهي تتأوه من حظها، ومن نفس السلوك الأحمق ولذعه الساخر، هو لا هم الإ نفسه ، إنها مصيبه حلت بها، ولا تدري كيف تتخلص منها تضرع والدها ، معيدا طلبه وقد رجا منه المساعدة



- لن يقبل أظن أنه لا ينصت لأحد ، سأرشح أحد أصدقائى المقربين ،

قال الصديق: هذه الزيجة مختلة التوازن، و الحياة بينهما مستحيلة ولابد أن تنتهي في يومٍ ما،

- لكن السؤال كيف وافقوا على هذا الجرم؟

قرر كمال أن يبشر والدها بالعمل معه بعد إن عم الشيب رأسه، ففاض عليه بالمال، ولم يتلجلج لحظة، فقد كان يريد الإقتراب أكثر وتوطيد الصلة بينهما.

كان قلب كمال هائما بها، الزمن الذى يستغرقه فى التفكير فيها أقل من سمومشاعرها، يتمنى التقدم خطوة أخرى للحصول على معلومات تخصها، فصارت علاقته بوالدها علاقة مودة وصداقة عميقة.

*****

وفي يوم ذهب إلى منزل والدها، لكي يجيئ معه للعمل ،حسب الإتفاق المسبق، فوجد تلك المرأه ملقاة على الأرض، لا تستطيع إلتقاط أنفاسها ،كانت تترنح بشده، تتلوى على الأرض كثعبان لا يأمن من لسعه ، الجميع حولها ينظرون إليها نظرة جامدة كالحجر، كالدمى لا يحركون ساكنا، ذلك الجحود السائد، والظلم البين، والعقل الملوث عالى الدرن كان يسيطر عليهم جميعا

فحرك رأسه حزنا يمينا ويسارا وضغط على أنامله وهو يتمتم "لا حول ولا قوة الإ بالله" وقد كانت نظرته تحمل عدم رضا والإشفاق عليها مما حل بها

– لماذا لا يحركون ساكنا ؟ اللهم ارحمها ،

– لابد من إلحاقها بأقرب مستشفى لعلاجها،

- فيجيب والدها بجفوة لا عليك إنها مريضة بمرض مزمن بالقلب، وهذه ليست الأزمة الأولى التى تحدث لها ،بعد قليل ستسترد عافيتها ويعود إليها نشاطها ولكنه أصر أن يفكها من يدهم، ولكن كيف؟

فكر بذكاء أن يستميل والدها بأن يبيع إليه سيارته، ويقاسمه تجارته فهو يعتمد على معاشا بسيطا في الإنفاق على بيته وابنته ففرح بذلك

- وسأله من أين ستأتى بالنقود؟

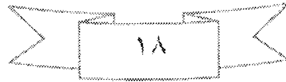
- من ابنتى سلوى،

- إذا أكتبها باسمها والإ سيعاقبك الله،

- وستكون تكون أنت مدافعا عن حقوقها،

- فاحتج على كلامه ورد عليه بلهجة كنطح الثور قائلا :سأكتبها باسمى.

*****



وفي اليوم التالي توجه الوالد وبرفقته ابنته إلى البريد لصرف المبلغ ، فلم تتمكن من صرفه لأنها كانت تحمل بطاقة ورقية مجهولة المعالم، وبعد محاولات عديدة استمرت لمدة شهر بقى الحال كما هو عليه .

ترجى الوالد كمال أن يساعده في استخراج بطاقة حديثة حتى يستطيعا سحب المبلغ،

– فقال كمال بحماس متقد سأذهب مباشرة، حيث أنني أمتلك علاقات طيبة مع بعض المصالح الحكومية وسأستفسر عن ذلك، فلفت نظره مدير السجل بأنها من مواليد محافظة اخرى، ولابد من إحضار شهادة ميلاد لها حتى نتمكن من تلبية طلبها.

فلم يتوانى لحظة ونفض التراب من خلفه وخشى الوصول متأخرا ،مسح حذائه ،ومشط رأسه ،وأطال النظر للسماء داعيا بتوكل أن يتم الله الأمر ويعينه على

إتمامه بغير تواكل، وذهب بنفسه إلى هذه المحافظة لاستخراج شهادتها ،فطلب منه مدير السجل أن يحضر إستماره مكتوبة يدويا من السجل القادم منه التابع للمحافظة التى تعيش فيها حاليا ،

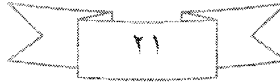
- أحضر لى هذه الإستماره حتى نملأ فراغها من واقع ملفها الموجود لدينا،

كل هذا بلا إحجام أو تثاقل، ولم يهدأ باله ،ولم ينظر لما يعانيه من مشقه ، يضرب بفأسه على صخرة خشنة رغبةً فى جعلها ناعمه مفتتة لكي يسهل السير عليها دون جراح حتى يحقق مايصبوا إليه من غايات ، وإخراجها من موضعها الصعب ، ويبنى مجدها ويصمم لها النوافذ بإحكام حتى لا يأتيها المحرق الهالك أو البارد القاتل ، متمنيا أن يوفقه الله فيما يسعى إليه،

فخير الفلسفات التحمل والتجلد كما قال المثل الاجنبي

فالأمر بالنسبة له تعدى حدود إجتياز المحنة بل وصل لمرحلة الحب ،ولم يصارحها بدخائل نفسه ،ولم يصرح بعواطفه، منتظرا الحل القاطع للجدل ، فتمكن من الحصول على إستمارتين، واحدة أعطاها لمدير السجل بعد إملائها، والأخرى صانها فى جيبه، ليكتشف ماكان يرتاب فيه، بأن شيئا ما بهذه المرأة المغتصبة فى شرف العمر بلا لين ، والبداية لترتيب السر وفكه، والقمع الذى اخترقها ، عندما أظهر أن اسم والدتها التى تعيش معها حاليا، يختلف إختلافا شاسعا عن اسم والدتها الحقيقى، التى لا تعلم عنها شيئا.

*****



سلم الإستمارة لوالدها، فراح يخبر إبنته أن تذهب لإستخراج شهادة الميلاد، فذهبت مسرعة، فلم يمنحوها إياها، ولم تفلح محاولاتها، ليلح عليه والدها فى التدخل ثانية ، وأن يتجه معها لمعرفة السبب الأصلى،

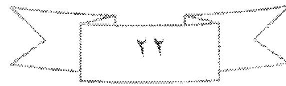
– فأخبره مدير السجل بإن الإستمارة تم تحريفها، وأن هذا تزوير وتلاعب ،

فاسترضى سكنه،انا الذى قمت بذلك دون عمد، فلا يريد أن يعرقل الأمر ،حتى ينتهى من مهمته،

- وأجاب سأقوم بإحضار بدلا منها،

فيحضر أخرى، ويعرف وقتها أن والدتها الحقيقية هى المثبتة بالإستمارة الخطية التى إستخرجها من المحافظة التى تعيش فيها.

*****



وبعد الإنصرام تحاور معها، يريد أن يمهد لها الحقيقة، متحدثا معها عن دماثة الأخلاق، وأن يكون كل ماتضمره فى نفسك من أقوال وأفكار وأعمال محكمة و معبرة بإيجاب، وأن يكون الضمير عقيدة، والأخلاق فريضة .

- أستغرب ما الهدف من هذه الأفعال المريبة ؟

تنصت إليه بانتباه وتقول الطمع فى نصيب الغير أصبح مهيمنا بين الخلق ياسيدى فالأخلاق والضمير إنحطا وتدنيا فأين مكارم الأخلاق التى نادا بها النبى؟

-أرح أعصابك من ذلك إن الله لا يغير ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم، لقد نسوا قول النبى إتق الله حيثما كنت .

وبقنوط قالت : من فضلك اعطنى شهادتى، فلا أريد أن أجهد لبى ومع الحديث اعترته نوبة سرحان يريد أن يخبرها ، وبما أنه لم ينس إعتلال قلبها، غلبه

الخوف أن يحل بها مكروها، فكم تجاهرت عليها الأيام ،وخسرت أحلام النصر، ولم تحصل على المراد، فها هو زوجها مريض هزيل ، وأهل جبابرة، وأهل حقيقيون غائبى الإنسانية ،

- ألهمها الصبر يارب

فنغزته ونكزته بيدها وهي تسأله بشغف

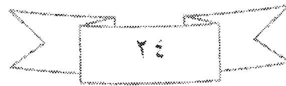
- لماذا لم ترد ؟ وبماذا تفكر؟

- فإسترد رشده وقال لا شئ

فكر برهة قصيرة ومنح لنفسه مساحة من الوقت ومع إصرارها قص عليها الحقيقة المخبأة بترفق

- هؤلاء ليسوا أقاربك

- فقالت له: اصمت .. لقد ذهب عقلك حقا فما تقوله لعب وإستخفاف بي



- أبدا أنا لست هكذا فقد تعثر لسانى كثيرا قبل أن أبلغك، فلدي مستندات تنير بصيرتك لما هو خفى من الأشياء ، وتدين أهلك المزيفون وتطيح بهم، وتزج بهم داخل القضبان .

وبفطنة بدأ يهدئ من روعها، وجلسا فى مكان رفيع كثير الظلال ،بعيدا عن سخونة الشمس، وألم الحلق من الظمأ ، وتناولا الغذاء سويا .

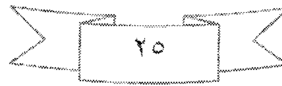
- هل زار الود قلبك قبل ذلك؟

- لا لا كيف لمثلى أن يدق الحب باب قلبها؟

- مجرد محاولات صبيانية

- احكى باستفاضة أريد أن أستمع إليكِ

- أتذكر يوما إبن الجيران حينما كان يترقبنى وأنا أفتح النافذة وكان يقف ساعات طويلة حتى يرانى ساعة العصارى ، هذه الساعة التى كان ينتظرها الجميع



لكي يفتحون النوافذ ، ويجلسون أمام البيوت هروبا من حر اليوم.

وذات يوم مر أمام منزلى وهو راكب دراجته وألقى بقطعة حلوى من الشباك لتقع مصادفة على والدى الذى أسرع ليرى من فلم يجد غير غلام يجرى مسرعا بدراجته

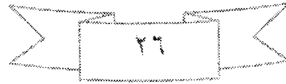
فسألني: من ذلك الصبى؟

فأجبت: لا أعرف ياأبى

– فلامنى بشده حتى إنهال علي ضربا ونزفت دما من حاجبى واعترفت بالشئ الثابت الصحيح

– فذهب أبي لوالده واشتكى له الذي بدوره أعطاه علقة ساخنة

– أبتسم عندما أراه الأن، وأستحضره بعد نسيان، هو حاليا يعمل مهندسا



– يالها من أيام عزيزة .

– نعم هي كذلك .. ليتها تعود!!

– الأيام الحلوة تمر سريعا .. تذهب وتترك لنا ماض راحل إما أن نشتاق إليه أو نتألم منه

–لا يمكن عودة الوردة إلى غصنها بعد قطفها.

– الحمدلله على كل شيء

وبعد أن استردت قليلا من السكون طلب منها أن تروى له قصتها منذ مهدها، فأسئذنته لثوانى تجرى محادثه هاتفية مع والدها بصوت أصاب نفسها بانقباض

– قالت هناك فجيعة ضخمة لم تكن فى الحسبان سوف تصيبنا بسبب هذه الشهاده،

أجاب حينها بحديث مشوه مستمرا فى تمثيله لدوره بحرفية وتمكن والتى احتال بها على الفتاة طويلا،

- تعالى فشهادة ميلادك أبرزتها لكِ منذ إنجابك وقد دفعت فيها ثلاثة آلاف جنية،

ثم ضحك بصوت متقطع به تهكم و يمسح بيده على وجهه أن شهادة الميلاد تعطى مجانا للمره الأولى،

– هناك سر فى حياتك، أخبرينى عن كل مايخصك منذ مهدك،

– فقالت بتذمر حاد المزاج ، أنا ولدت بمحافظة الدقهلية ثم عشت فى القاهره لفترة وجيزة، التحقت هناك بالمرحلة الإبتدائية، ومكثت مع امرأة ثرية، ثم توجهت لقرية تابعة لمحافظةٍ أخرى ، ولم أتم دراستى لأسباب لا أعلم عنها شيئا بحكم حداثة سنى، فهذا قدر الله على كثير من أمثالي لكنى أجيد القراءة والكتابة

ثم استوطنت فى هذه القرية مع رجل وامرأة أخبرانى بأنهما والداى، وكنت معهما بمفردى فليس لديهما أبناء فى ذلك الوقت، وبعد ذلك وهبهما الله ولد يسمى حسن وبنتين هما هيام وسحر، كانت حياتهم شديدة الحاجة لموارد ، وأحيانا الجوع الشامل، ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف هذا كان منهجى والحكمة والدرب الذى أسير عليه وبعد أن نضجت وأشتد عودي، قررت أن أعمل وأن أتحمل الأعباء ، شاطرتهم الأحزان والسرور، واجتهدت فى ذلك ، ضحيت بمصلحتي من أجلهم بتفانى، وعانيت الويلات لبلوغ العلا. رغم ثورتنا الأحسن، والأعلى مكانة، و التى أمدتنا أملا فى نقل مصار حياتنا ،والتى خرج الكثيرين يهتفون بها ويصفقون، الصغير، والكبير، والنساء ،والفتيات، وأهل الفكر ،والأمية، والتى

استطاعت أن تلهم الشعراء بأبهى القصائد ،فمنحتهم عزيمة لا نظير لها، والحشد وتوحد الأداء، والفكر الكيميائى من أين كل هذا ؟ والدبابات الحامية والجنود السامية المتلاحمين ، الذين تغلبوا على حكمٍ كان بائدا، بقي لإعوام جمة، كانت مليئة بإبطال الحق، ،وممارسة البطش، والجدب، والقحط والخراب ،و التفضيل بين الغنى والمكسور الفقير وتحقيره، وحياة الضلال الرتيبه المقرفة، فرئيس حكومتنا يذكرنى بزعيم العصابة، الذى كان يطل فى الافلام السينمائية بوجه البراءة، وهو فى الأساس مجرم ولص، أو يطل فى أول الفيلم لنهايته، أو فى نهايته فقط، فيتم القبض عليه، وبسببها تعس الأعداء، لأنه كان محطة التمويل لهم، فكان يتولى أمرهم، لا أمور شعبه، فالثورة ثروة، مسرة وعطية خلابة من الله، إلا أنها لم تكتمل حتى

الأن، فالنزاع علي السلطة والأغراض الخسيسة مازالت متواصلة، ولم نتخلص من أخطائنا الفادحة حتى الآن لقد تسببت فى سقطات عرضت فيها أرضنا إلى أزمة طاحنه، أثرت علينا جميعا .

قال مندهشا :لقد راقني تحليلك العالى

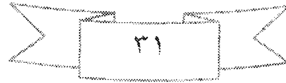
- أتعلمين أتمنى أن يأتي حاكم نبيل عادل يجعل الأشياء فى مقام واحد يمنع الخصمين من التظالم لا يجور عن الحق

- إنه حلم .. لقد انتهى زمن الرسل والصحابة ياسيدى

- الأمل فى الله عظيم

ثم سألها :ماذا تقولين لمن يتأمرون بنا؟

- ستحبط أعمالهم الدنيئة حتما .. يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ومع كل هذه الأشياء لم أهتز يوما



كان يستمع إليها وهو سعيد بأنه لم يذنب حينما قرر إعانتها.

- ماشاء الله عقلك فطن فأنتِ لستِ بحاجه لعلم فكثيرون لا يحملون ثقافتك

- أشكرك على مجاملتك

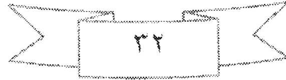
ضمت أصابعها الصغيره تشير له بالإنتظار كي يتريث لتتم له حكايتها

طلب منى والدى أن أسافر لأحدى الدول العربية للعمل هناك فهى فرصة قيمة لتخفف علينا أثقال الحياة وأصبح جواز سفرى جاهزا ، فلبيت طلبه ومضيت دون رجوع،

سألت والدى مَن الرجل الذى سأعمل معه؟

- ماهى طبيعة عملى؟

- أين سأعيش؟



فأجاب بأنه خالك شكرى ، وهو رجل أعمال له قدر وقيمة ولديه كافتيريا.

*****

سافرت وقابلني خالي بالترحاب وبشاشة الوجه، فهو رجل أنيق ، عريض، متوسط الطويل ، واستلمت عملي سريعا و كان حاضرا خلال ذلك ابنه طارق لكي يعمل معي ، تعرفت عليه ساعتها فقط فأنا لم أراه من قبل،

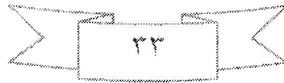
فسألها :وأين كان مكان إقامتك بعد عناء العمل؟

فقالت له: كنت أنام أنا وطارق ابن خالي في شقة مستقلة، خصصها خالي لنا،

– وكم كان عمر ابن خالك؟

– تقريبا ١٦عاما

– كيف كنتِ تعيشين مع ولدا في هذا العمر ،مدرك للأشياء ،وفي نفس مرحلتك ،



- هل وقع بينكما شئ؟

صرخت بصوت مرتفع

- لا (قالتها بقوة المرأة العفيفة الطاهرة)

فقال مبتسما

- أراد الله أن يحفظك، (انتظر لحظة ثم قال) أظن أن طارق أخا لكِ

- على أي أساس قلت هذا؟! (قالتها وهى غير مقتنعة بكلامه)

- لأن اسم والدتك غير مشابه لاسم والده، إذا خالك هو الأب الشرعى بنسبة كبيرة،

-كيف ؟ فعقلى خدره البنج والفوضى، فطارق أراد الإرتباط بى وطلبنى من أهلى،ولم يلائمهم مع أنه جيد

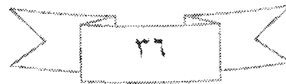
،

-إذا حديثى صائب لم ولن يوافقوا لأن ذلك سيوثق ما أقوله.

-كنت أنزل للقاء أهلى بعد النوى كان خالى يمدنى بهدايا ثمينه من ذهب وألماظ، فكانت زوجتة تغار منى، لأنه يحتف بي، وأهلى كانوا يأخذونها كلها، فغيرة زوجته تسببت فى مشكلة جعلتنى لا أسافر ثانية، فرجعت إلى أهلى، وبعد فتره أتوا لي بعريس، وتشبثوا بزواجنا، فأبيت، وفكرت فى الهروب لأنهم لايهتدون لما أقول، صمت آذانهم عني، رأى مبتسر، حتى خطر ببالى من كثرة العناء أن أذهب لمستشفى وأدعى المرض، لكى أنجو من وصمة العار التى ستلحق بى، ورغم كل مناوراتى لم أستطع مقاومتهم، ولم أستطع مواجهة الضغط فى أصرارهم على هذا .

اتهمني والدي أنني أنفر من الزواج لأنني لست فتاة بكرا ،فتساقط علي الكلام كشظية ، ودمعت عينى كسائل منسكب، كان حديث أبي كالحصوات التى ترتطم بالرأس،وقد تسبب فى جرح تربع بداخلى وأستفحل، وتيار جرف بقلبى إلى طريق مسدود مضى بي إلى المجهول، حتى زلزل جدار عمرى وسقط، وتبددت فائدتى كلما وطئت الأقدام عليها وأصبحت هشة بلا نفع وأفلست محاولاتى واعتبرت نفسى قد ذهبت إلى إدراج الرياح ،وإبتهلت لله أن يعزنى بعد أن زللت. تزوجت بغتة بلا علم عن طريق عمى بيومى الشيخ الكبير الذى يعمل مأذونا شرعيا ،فرضخت ، فلم أجد من ألجأ إليه غير الله.

*****



بدأت حياتى مع هذا الرجل دون طيب خاطر بحجرة صغيرة لا تصلح حتى لأن تكون حظيرة للماشية ، وبوجود أمه، وعلمت بأن زوجى مريض بالجهاز العصبى فأصبت بحالة من الجنون ، الحياة أصبحت بخسة ، ولجأت للفرار، كدت أن أنهى حياتى مرات ومرات بيدى عن طريق تعاطى العقاقير للتخلص من تعسفه ، وكانوا ينقذونني بإعجوبة ، وصمموا على عودتى ،دون النظر لإعتباراتى ومنزلتى التى قلت وتهشمت، و فقدت صلتى بالواقع ، واعتبرت ما أنا فيه امتحانا من الله، وقدر الله أن أنجب منه ولدين هما مجدى وخالد ، وقد كنت له جسدا مغلفا بحريقٍ باطنى، يعاشرنى رغما عني، وعندما أمتنع يأخذني قهرا، حتى أفقدنى إحدى عيناى، وتسبب لى فى مصائب كثيرة ، ودامت بشاعته حتى قررت أن أترك

كل هذا وألقي به جانبا، وأعلو بفكرى بدلا من البلاده ، الحريه حالة جميلة كدبس التمر والتقيد كخل حاذق يلقى به كارهية بعيدا،

فقال لها وفى يده سيجارة مشتعله تقريبا كانت الأخيرة فى علبته

- هل ستكملين بقية عمرك بهذه الطريقة المكبله بعد أن عرفتى حقيقة الشئ وكنهه؟

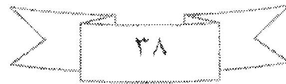
- لا، أنا دائما أفكر فى الرحيل لكن

- أين سأعيش؟

- لا تحملى هما.

*****

مرت الأيام وانتظرت الرحيل لحياة العقلاء، الخالية من الأنجاس، حتى أحضرلها سكنا مناسبا هى وأولادها الصغار، فشكرته على شهامته ومرؤته،



- أنوى رفع قضية خلع.

(أجاب وهو يحتفظ بفرحته داخل صدره)

-كما يروق لك

فقامت بعمل توكيل له عند أحد المحامين الذى له صله به ، فغازلها المحامى، خرجت من فجيعة زوجها ليخرج لها هذا المحامى الناقص، فتردد بداخلها هاتف "أين الشرف؟" ، وفي لحظة اتجه نحوها ونظر إليها قائلا:

- مارأيك أن تصرفى النظر عن كمال ونتزوج؟، بعد معرفته كل شئ منها بسلامة نية،

نظرت إليه باحتقار ولم تتفوه بكلام بذئ

- أحسنى الظن بي

- ربنا ياخد أمثالك وينتقم منك

وخرجت مسرعة ولم تدارى عن كمال ماحدث وحكت له كل شيء، فجن جنونه وفى طرفة عين كان واقفا أمام المحامى ،صاح فى وجهه بشكل فاضح

– قائلا :أعطنى الأوراق

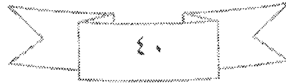
وفى طاعة بها خجل من فعلته أعطاه إياها

وأخذ منه جميع أوراقها، وراح لمحامى آخر وقام برفع القضية، وأمرت المحكمة بحضور زوجها للحكم.

فأحضر زوجها شهود الباطل الذين كانوا يجلسون على مقهى صغير بجوار المحكمه (غرزه) ،

قال القاضى : أين هوية الشهود؟

فناوله أحدهم جواز سفر بدلا من البطاقه فعرف القاضى بأنه دائم التردد كثيرا على المحكمة، وهو متخصص تزييف للحقائق،

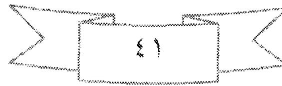


فسألهم القاضى عن مقدم الصداق فتمتموا فأتضح أنهم لا يعلمون شيئا، فأخذ أقوالهم بذلك،

ووضعت هي عشرة جنيهات كمقدم الصداق المثبت فى قسيمة الزواج، فاستطاع محامى الزوج أن يقوم بإعاقة الحكم لمدة طويلة حتى تصاب الزوجه بنقص دموى، وخيبة أمل ،وتتنحى عن حقها ، لكنها ظلت ثابرة ثابتة أمام العاصفة، لم تكن كشجرة خريفية ، تنتظر التخلص من الليل الدامج الذي كانت تعيشه.

وعند قرب النطق بالحكم بفترة بسيطة.

أتى طارق من غربته، وراقبها أثناء خروجها للعمل، فدنا منها ،واصر أن تركب معه السيارة المرسيدس الفاخرة، فخافت منه، لأن قدومه فجأة غير مطمئن، أصابها بالقلق الشديد،



ولكن مع إلحاحه ركبت السيارة ، وذهب بها إلى مكان سياحى راقى بالقرب من منطقة زراعية، أحضر لها طعاما فامتنعت، فألح عليها ، فأصرت على موقفهافي ذهول لما يحدث حولها،

- أين كمال أو رقم هاتفه لكى أقصيه عن طريقك؟

فألقت بطاولة الطعام على الأرض دون أن تدرى بما تفعل، فقد شعرت بأنها فى حلقة قنينة مسدودة بلا متنفس أو مخرج،

ترقب هدوء غضبها ثم قال:

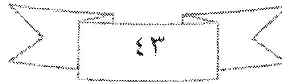
علاقتك به ستلحق بخراب شامل لأشخاص كثيرون، لهم منزلة عالية بالمجتمع ثم عرض عليها الزواج فتركته

رحلت من ذلك المكان لتذهب إلى كمال فى مقر عمله، حيث كان ينهى بعض الأعمال ، فروت له ما حدث من طارق، فأمرها أن تتصل به هاتفيا، ولا يحضر لمدينته، وإلا سبب لك ضررا جسيما.

*****

بعد مرور ثلاثة أيام، وجدت أمامها سيارة أخرى ، بها شيخا عجوزا يدعى سعيد، ومعه ٣نساء، وهى تعرفهم من قبل أثناء طفولتها، يراقبوها وهى متجهة إلى عملها، فضغطوا عليها أن تركب فركبت فى منتصف السيارة محاطة بهم من الأمام إلى الوراء، وغابت عن مدينتها ، وعندما علم كمال بالواقعة تشتت ذهنه، ونقب عنها، وسأل عليها فى كل مكان.

*****



وبعد أربعة أيام عادت سلوى مرتجفة الأعضاء، تنظر إليه فقط

وأبناءها الصغار يقولان" أمى أين كنتى؟ " فاتجهت إليهما كالبرق لتضمهما فى صدرها بتلهف بين يديها المفتوحتين.

وبعد لحظات، سألها ، يريد معرفة ما حدث ؟

قالت وهى مستنفذة من الإرهاق،

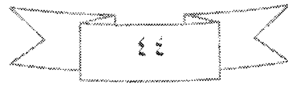
– ركبت سيارة مع رجل عجوز، وثلاثة نساء كنت أعرفهم من قبل منذ طفولتى، اتجهوا بي للنيابة العامة، ووقفت أمام وكيل النيابه ذو الصوت الخشن، فسألنى مباشرة ، متى كانت أخر محادثه بينك وبين طارق؟

– فقلت له منذ أسبوع تقريبا،

– ألم يحضر لكِ حقيبة بها مبلغا كبيرا ؟

– لا لم يحضر شيء،

– لماذا يسلمنى هذا المبلغ؟



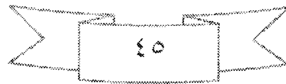
- أنتِ شريكة متضامنة معه فى الكافتيريا التى يمتلكها بأحد الدول العربية، فباعها ليعطيكى حصتك،

حركت رأسي يمينا ويسارا

- قلت لك لا أدرى شيئا عن ذلك،

- طارق لقى حتفه فى سيارته الخاصة ومعه هذا المبلغ وهو متجه إليكِ فى ظروف مشكوك فيها

فأرتعد جلدي ، وبعد فترة أمر وكيل النيابة بإطلاق سراحي، فعانقني والدي، الذي لاأعلم أنه والدي الحقيقى،والذى كان موجودا حاضرا عند سؤالي ،وبجواره إبن عمه عادل الذى يعمل رئيسا لمباحث أمن الدوله، وأخذوني إلى منزلهم، وأخبروني بأن طارق أخ لي، وعندما علم بإني أخت له من قبل المربية التى ربته، بعدما عرفت أنه مصمم على مافى رأسه فى الزواج مني ،كانت مفاجأة له، فأخذ هذا المبلغ ليعطيه لي ، وقام أيضا بكتابة ثلاثة



شـركات سـياحية بالقـاهرة، إحـداها بالمهندسـين، والـدقى، والثالثة لا يعرفون لها طريق، وأن والـدتي الحقيقيـة وضـعت لي أمانات بالبنوك

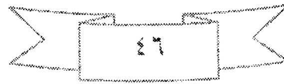
وبدا لي والد طارق، بعدما أيقنت أنه والدي ، وطارق أخى، إذا هـو والـدى ، ولكـن العلاقـة ليسـت علـى مـايرام، بيننـا سدود مانعة لا نستطيع تجاوزها بيسر

عرض علي كل شئ وأن أخذ سيارة طارق أيضـا ، بشـرط أن أسافر معه للخارج، مقابل مفارقتي

فقلت لهم:

– أنـا لا أعلـم مـن أنـتم، أنـا فـى حالـة إرتبـاك مـن هـذه الأحداث التى شاهدتها بحياتى، وأصبت بأزمة قلبية خفيفة فى هذه الأثناء ولكنها مرت بسلامة .

فقالـت لهـم عمة طارق :لو علمـت عمتهـا رانيـا بمـا حـدث لها، لأنتقمت منكم جميعا،



فقال لها والدي :سوف نأخذ هذه الأموال، ونحضر الشيخ سعيد، ونبنى بهذه الاموال مستشفى لعلاج أمراض القلب، لأن والدتها رحلت مريضة بالقلب،

قلت : هذا لا يعنينى

- سوف تعودين هنا مرة أخرى، لتنهى إخراج المستحقات من البنوك وودائع باسم والدتك، وأموال وضعها أخيكِ باسمك،

- كما تحب، لا توجد مشكله.

وذهبت فى رفقتهم إلى البنك، لإخراج الأمانات، وأثناء ذلك اتضح أن إسمي الملزم فى الأوراق التى يحملها والدي هو إيمان، وتتوالى المفاجأت ، ولكنني اعتدت عليها،وابتسمت إبتسامة داخلية، فنادى والدي الذي لم أشعر تجاهه بأى رقة ولا عاطفة

- هيا يا إيمان حتى ننتهى ،

- حاضر

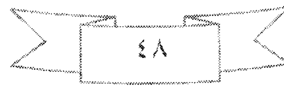
وفعلت ، لأرحل عنهم، وكانت حالتي رديئة، فبعد اكتشافي أنني أحمل إسمين التزمت الصمت، محتقنة الحنجرة، وتوقفت مع نفسي، لأترك الزمن المؤسف، والأحداث العفنة وممتلكاتي التى حصلت عليها من عملي بالمصنع

أريد أن آخذ أولادي وأرحل .. أريد الإنسلاخ فى مكان لاأرى فيه هذه النوعية من الخلق .

- كمال أتوسل إليك أريد سكنا ،

- موافق قريبا سيكون،

***



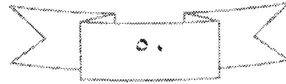
وجلست تفكر لكى تخرج من هذه الشبكه ضيقة الفتحات، من الحزن الذى سيندم لأذاها ، والفرح الذي سيسعد يوما بغناها ،الدم بداخلها به فوران ، التملص صار حيز التنفيذ ، فكانت دائما تشعر بهدوء نفس ، لأنها كانت تحمل إيمانا وقوة احتمال ، وتردد وهى فى قمة ألمها إنا لله وانا إليه راجعون ، والاستغفار يلازمها ليل نهار ،فالقدر الكريم أتى بإيمانٍ بالله لا ينقطع عنها ، الحب ستروى خطواته ليصبح شبرا وذراعا وأطوالا وأميالا وكيلومترات حتى يغزو الدنيا،

أرادت أن تشترى لها سياره نصف نقل، ليعمل عليها كمال، ذلك الرجل البطل، التى أحست معه بإن الدنيا مازالت

تحمل فى جعبتها الخير، ومازالت مليئة بالعلو ، لكى يكون ذلك مصدر منحة لها، وتكون مقربة منه، ولكنهالم تسلم من الحرب التى اشتدت عليها من الجميع، الذين صوروا لها فكرة خاطئة بأنه شخص لعوب، سوف يمكر يوما ما لكى يحصل على مالها ويفر هاربا ، ولكن هى على يقين بداخلها بأن هذا ليس صواب ولا أساس له، ولم تعط لذلك أهمية،

"وإن يريدوا يخدعوك فإن حسبك الله "

بدأت الحياه تستقر، والسفينة تمر فى حفظ وحماية بلا هياج، لان شلالها رحيم، لتشعر بإنفتاح بالعزيمة أفضل مما

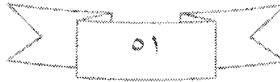


كانت، ولكن أحيانا عندما تنغص عليها الأيام الفائتة، وترتدى الطمأنينة لباس الجبن .. تسأل من أنا؟! سلوى أم إيمان، ، كم كانت أيامى مصاحبة بالعقاب، تأتى بسيل جاوز الحد، فحياة الإستقرار لم تدم طويلا على حالها الرزين، ويبدو عليها بألا تعرف طوق الإغاثه ،لتخاصمها الأيام وتسرق ماتبقى ، وتنقلب عليها .

*****

حل إليها شخص بمسلسل جديد، أعتذر هو ذات المسلسل وعينه بأبطاله الذى لم تنته أحداثه، العدل قد تحمض وصار مختلا، وباء عاقب أمرها ،ليحدث دوى آخر بعقلها.

أتى إليها رجل يقول بأنه يعمل ضابطا ، وأنه إبن عم أبيها، جاء ليأخذ بيدها، ولكنه كان تدبيرا ماكرا ومؤامرة،



تحدث معها بخبث، وقال : أنا أعلم بكل ما جار عليكِ،

وأن كمال شخص مجل مناسب إليكِ،

وعرض عليها أن تحضر سيارتها إلى القاهره، ليشترى لها متاع منزلى من ماله الخاص،

– يمكنـــك أن تعيشـــين بـــوادى النطـــرون، وتتزوجيـــه ، و لاتبوحى بهذا السر له،

–لماذا؟

–لأنى أريد مساعدتك فقد تأثرت بحالك و الكتمان الحل ،

فلم تنصت لذلك واخبرت كمال بحديث الضابط ،

وبحدة عقل وتحليل متميز قال :

هـذا الشـخص يريـد ذهـابى إلـى هنـاك لكـى يتم إلحـاقى بالجحيم، فشعر بالفزع الذى هز أرجاء كيانه قليلا، وقرر أن تحمل حقائبها وتأتى لتقيم فى مدينته، و تكون تحت

متابعته، فى هذه الأونه قال لها الضابط إذا أتى إليكِ أحد لكى تذهبى معه إلى مكان ما، ارفضى.

*****

وفجأه تحضر إليها إمرأه فى الخمسين من عمرها، طويلة القامه، ترتدى كسوة فاخرة ،واسعة العين كحيلة، وجهها دائري متزين، يبدو عليها الثراء، مترفعة الحديث، أخبرتها بمنصبها الفخم بالدولة، وهى زوجة لرجل أقاربه يعملون فى مناصب كبيره أيضا، فعرضت عليها المجيئ والعيش معها، وتركت لها مبلغ قدره ١٠ألاف جنيه،

قابلهتا بنفس الترفع، وسخرت منها فالكبر على أهل الكبر صدقة

قائلة : أنا لست راغبة في شيء، فلدينا مايكفينا، الحمدلله في نعمة،

قالت لها وهى حانقة:

- أنا ابنة للرجل الذى رعانى

فتلقت منها توبيخا به قساوة، وبصوت مرتفع قالت

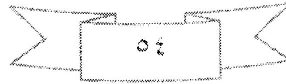
- أنا عمتك، أخت لأبيكِ الشرعى

وينتهى الحديث كالعادة وترحل هذه السيدة.

كررت الشيئ مرة أخرى فلم تنجح، فلما علم كمال بذلك صمم على رحيلها من هذا المكان، وعرض عليها فكرة :

-ما رأيك أن تقيمى مع أختك بقريتها فى الجيزة؟

- لا أرى مانعا وأنت؟



-سأسأل عنكِ من حين لأخر، و لن تكوني مهجورة بمفردك، أنا ألتزم بالإكمال معكِ حتى النهاية.

– أنت أعلى وأحن إنسان

– هذه طبيعتى أستقبح الظلم وأتصدى له ولا أضمر العداوة لأحد ،

– ماذا يحدث لو أصبحت الدنيا بلا إنصاف ولا وازن؟

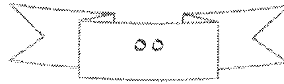
– الفحش بالتأكيد

– هل تفقدين الإيمان فى العدل وتعتقدين أنه لن يعود؟

– (هزت رأسها بثقه) لا سيبقى العدل لامعا لا يصيبه صدأ الحديد ،فعجلة الحياة لن ترتقى خطوات للأمام بدونه

– العدل ميزان الملك أعشق هذا المعنى

وروى لها قصص الفاروق عمر وإنصافه وكيف أنه يتمنى أن يسلك الناس والحكام نهجه وكم كان عفوا عادلا للناس



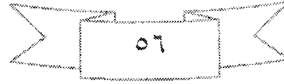
- صدقت ياعزيزى وأجدت القول
- أشكرك .

***

فعاشت مع أختها أمل فترة قصيرة، حتى مثل أمامها رجل بسيارةٍ كان يراقب تحركاتها وهى ذاهبة للسوق المجاور لمنزل أختها، أسرع نحوها بسيارته يريد قتلها، ولكن هذه المرة أيضا رافقتها عناية الله

لاذ الرجل بالفرار، واصطدم بعمود إناره أثناء توليه مدبرا ، فاتجهت نحوه وسط القليل من الناس فردد أثناء لحظات الموت

- سامحينى سامحينى،
- من أنت ؟ من أنت؟



فلم يلبى و مات فى الحال، وعلمت أن وراء هذا الرجل شيئا، فتعثرت فى المشى اثناء عودتها لمنزل اختها، وبركت على الأرض ثم قامت كالجمل ويا ليتها كانت كالجمل فالجمل حمال ، كان كل شئ فيها يرتعد ، وبداخلها هاتف يقول:

- متى سأرتاح ؟
- متى سأتخلص من هذا ؟

لقد سئمت، التجارب مريرة فلا أحد يطيق هذا، فالصحراء الجرداء الخالية من الزرع والماء أرحم من عذابهم،ودخلت فى نوبة شديدة ،تتمنى أن يمضي هذا الهاجس والجو الخانق والأيام الماضية الأليمة التى أزعجتها،

وأشتد غيظ كمال وتفاعل مع الحدث المفجع ودفعه لأن يتصرف باهتمام

– أرى أنه من الملائم وجودك بجانبى ؟

– وأنا كذلك.

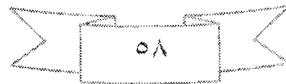
*****

حدث عطل للسيارة نصف النقل، و العطل عبارة عن كسر فى فرغة الموتور ، وأرادت أن تشترى أخرى من وكالة السيارات فلم تعثر على ورقا لهذة الفارغة لتخليص السيارة من فترة إبطالها ، فبلغت أحد أقاربها وهو ضابط فى أمن الدولة

– أنا أريد أن تمد لى يد المعاونة ؟

– (فخاطبها برفق) أى معاونة؟

– السياره بها تعطيل فى الورق



– لاتقلقي سيكون كل شيئ حسنا

– أكرمك الله

فرط إليها أحد أقاربها ويدعى جمال أناب عنه، ومنحه مقدارا من المال لربما إحتاجت شيئا، وإذا بالرجل ينحرف عن الطريق الصحيح دون علم الضابط إلى مدينته مقنعا إياها بأنها سترى أقاربها، ويصطحبها إلى بستان مزروع برتقال ،محاطا بحديد وأسياج يجلس فيه أربعة من الرجال ومثلهم من النساء في حضور موظفا مرتشيا من الشهر العقارى التابع لإحدى الدوائر الحكومية، أرغموها على التوقيع على عقد بيع ٢٠فدانا كانو بإسمها، فوقعت وهي مسلوبة الإرادة.

وبعد ذلك تم نقلها لمدينة تابعة لمحافظة القليوبية، وروت لكمال الذي نصحها بأن تهاتف والدها الحقيقي

قال لها والدها سأتصرف بحكمة فاتصل بضابط أمن الدولة وأنبأه بما وقع لها من قبل جمال، فقام الضابط بجودة نظر أن يرسل معها جمال مرة ثانية لتستلم رقم الفارغة وأوراق السيارة، وتم توقيعه على إيصالات أمانة عن طريق موظف المرور فى غفلة منه، منفذا التعليمات التى جائته من الضابط، لكى تسترد الأوراق التى وقعت عليها، فإذا برئيس النيابة يستدعى الرجل،

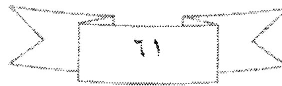
فقال له بحضورها : لقد وقعت على إيصالات أمانة .. إحضر الأوراق التى وقعت عليها سلوى بهدوء مقابل هذه الإيصالات نفى عن نفسه ذلك بادئ الأمر ولم يعترف بأنه صادرا منه

- لكن هذا توقيعك
- نعم هو (قالها بإستكانةٍ وجبن هذه المرة)

ورخصت السياره وتم بيعا لأنها كانت مصدر ذعر وكنز معلومات لمن يريدون النيل منها.

*****

وكانت ليلة القدر ليلة الشرف والعظمة إذ تم إنفصالها عن زوجها، لتدب الراحة فى قلبها منشرحة متهللة الوجه، حتى ولو كانت غير دائمه، وتستريح من هذا الضجيج وسنوات المضض التى أهلكت جسدها وأبرزت فيه أثار الزمن وخدش بشرتها.عرض عليها كمال الزواج فقبلت فإجتمعا على أمر واحد ،فهذه اللحظة الطيبة طالما انتظرها طويلا، فشعرت أنه خير نفع وثروة وتعويض لها عما ضاع من العمر، وكم كانت تتمنى هذا "



انقضت عليها بعد الزواج قصة أخرى فالقصص لم تنته بعد، فيظهر عميد شرطة يعلمها بأنه خالها،وأفصح لها بأنه يمتلك أوراقا تشمل حقوقها ،لدرجة أنه قام بالإنفاق عليها ومساعدتها في إجراء عملية بالقلب ، ولما روت له ماحدث لها قال:

– أريد رؤية هذا الشخص الذى وقف بجوارك لأساعدك بالزواج منه.

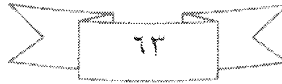
وبعدها، حضر بصحبته رجلان قاموا بتوقيعها على الأرض مرة أخرى، وطلبوا منها أن تتزوج واحدا منهم يسمى سعد، لكى تستعيد أرضها، فرفضت وذهبت لكمال لتعلمه بذلك.

وبعد أيام قليله سألت عن العميد، لكى تأخذ منه الأوراق التى تؤكد أحقيتها وتتحقق من هى، ، فاتصلت بمنزله لتفاجأ بسماعها الخبر من زوجته بوفاته فى حادث به ظروف خفية !

سألت نفسها هل لقى حتفه من الأربعة أشخاص حتى لا يقوم بمعاونتى ؟

*****

عزمت على ترويض النسيان، ورمى نفايات الماضى الأسبق البغيض ، لتكمل حياتها مع كمال فى شقة صغيرة ، ليستقر بها الحال معه لتعيش أيام رغداء ، وتنسى ما ألمّ بها، وصارت لا تخشى من القادم ، واستشعرت بالإرتياح ،



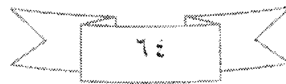
وراعا كمال أبنائها وتولى أمرهم، وأنجبت منه طفلا يدعى يوسف .

ومر عشهما ساكنا مستظلا بمظلة الإحتواء، غصنا كبيرا للتنزه شعرت خلاله بأنوثتها التى نستها .

إلى أن كبر أبنائها، وبدلا من الإعتراف بالجميل لكمال، أرادو الإنتقام منه عن طريق والدهما، الذى كان دائما يدب فى قلبيهما الحقد والغل تجاه هذا الرجل الذى دمر حياته على حد قوله، واجتذب أمهما منه، ووضع لهما الخطة لمضايقته حتى تعود إليه .

*****

خرجت سلوى من المصنع التى عادت إليه لتعمل به مرة أخرى، وقابلها ضابط أمن دولة يدعى سامى، فاستوقفها قائلا:



– لحظة .. أنا ابن رئيس أمن الدولة السابق، ووالدتى تريد رؤيتك، ووالدى قد قص لها قصتك

فرفضت ،وكان إبنها يوسف يبكى على كتفها، فهدئته

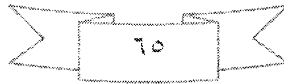
– نحن لنا حقوق عندك، لأن طارق أعطاكِ مبلغ أربعمائة ألف جنيه ، حقك فيهم مائة الف جنيه، وحقنا نحن ثلثمائة ألف،

قالت له أنها لم تأخذ شيئا، وأنها تعيش فى شقة بسيطة، ، ولم تملك غير ذلك، وأعطته العنوان ليتأكد بنفسه، فتركها دون فائدة ورحل.

عرف كمال، وطلب منها أن تخبر هذا الرجل بأنه لو شاهده سيقتله.

شاهدته مره ثانيه فأبلغته بعدم التعرض لها، وبما قاله كمال،

- فقال لها أوك، لن أتنازل عن حقى.



ثم أتت إليها امرأتان ورجل يريدون توقيعها على أوراقٍ جديدة للأرض،

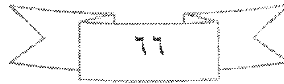
سألتها إحدى السيدتان: هل أنتِ إيمان ؟

– لا أنا سلوى، وأرتهم البطاقه وغادروا.

*****

ثم أتى لها رجل آخر محدثا إياها قائلا: أنا أعيش بالخارج، وأعرف قصتك جيدا، وعندما سأعود سأرد لك كل أملاكك، فقد اقترب سفرى فلم يتبق من أجازتى سوى يومان، وأعطاها مبلغا من المال،

*****



تجشـم هـو   بصـرخه ونكبـه قسـمته كالمقصـله فـى ولـده البكر،تربصت به الأمواج، كلص يبصر بمداهنه يمينا ويسارا ثم يهجم على الهدف ، كثرت الأمواج بالمكان ، دارت

كالساقيه حتى أسرعت قاصده عنقه، تقاذفت به،تسلطت على ريح الفم والأنف،

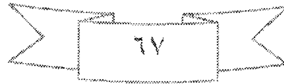
إرتعد جسد الأم وأناملها بشده، ترثيه من أثرالجرح، تطرق علـى رأسـها بيـدها اليمنـى فـوق اليسـرى، (تولـول) ، ضـياء عينيهـاإختفى، والصـباح حركهـا مـن ثباتهـا علـى يقـين ثابـت ومأساوى، لا تستطيع الفرار منه،

-ذهبت أحلامى معه

– البسمه صارت بعيده من الأن

-طلته باتت أمنيه

الأب



- بعد النتيجه إذهب للإستجمام

-النتيجه يتبقى لها يومان

- أنا وعدت أصدقائى

-عايز فلوس

-كام؟

-اللى تجيبه

-طول عمرك قنوع

صوت الأصدقاء مع حارس البحر يهاتفنى، كان لى مراقبا، صرح بصحتة، أغمه الموت، ورى في التراب بعد صلاة العصر، الصلوات الوسطى التى كان متعلق القلب بها، تعلقا شديدا، ويخلف لنا حزنا لم يندمل ، يرتمى فى حضن الحبيب، وتنتظره حور العين الحسان تحفل به.

ووسط هذه الأحداث لم تنقطع تعديات وملاحقة أولادها لكمال.

وذات يوم رجع كمال للشقة ليجد بنتا ملاصقة لإبنها في وضع مخلٍ بالآداب، فحذره قائلا

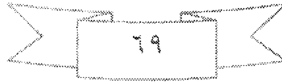
- أنا لم أعلمك ذلك

- أنت لم تكن والدى

شاهدت الأم الحوار الذى يدور بينهما فأصابها الشلل ولم تستطع أن تحرك ساكنا ، والإبن الآخر أهلكه إدمان المخدرات وحمله على الهذيان .

وكمال يعاتب سلوى قائلا:

- لماذا تصمتين على كل هذه الأفعال؟



– وماذا أملك ؟

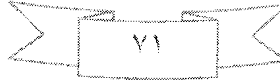
– هذه الأفعال لا أقبلها فى بيتى

وبدلا من أن تقف بحذاه وتلوم أبناءها ..علا الحوار بينهما واشتبكت معه بالألفاظ وانقلب الحال وفسد كمالم يكن يتخيله، فدخلت لغرفته وهي تصرخ بأعلى صوتها ، وألقت بثيابه خارجا فى مشهد مخزى استغربه كمال

هل هذا إرجاع الفضل لأهله؟ أهذه هي المرأه التى طالما كنت معينا لها ووفيا ؟! لكن كان هذا رد فعل عادى ، فالذى تعرضت له ليس بهين ، فقد فقدت التحمل والصبر الذى كان يرافقها طول الوقت ، نفذ رصيدها ، وتصرفت

دون عمد ، ليخرج هو مكسور النفس ، ويترك كل شئ،
يترك مدينته ، ويسكن فى إحدى المدن البعيدة ،
كان يسأل نفسه ما سر هذا التلون ؟!

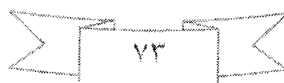
ورغم كل شيء كان لا ينسى السؤال عليها، وعلى أبنائها بواسطة أخيه ، هذا بحكم طيبته، ويرسل مايعيلها.
علم بعدها أنها تركت المنزل عن طريق أخيه، وسلمت عقد الإيجار لصاحب البيت، ونقلت كل محتوياتها دون أن تترك أثرا لشيئ، وعادت إلى قريتها، مستأجرة حجرة بجوار والدها المزيف، وعندما عادت إلى رشدها أيقنت أنها قد ارتكبت خطأ جسيما ، فكان هو الأمل الوحيد لطريق نجاح وإنجاز الكثير لها



"فلولا الأمل لانفطر الفؤاد كما عرفنا فى الحكم"

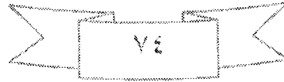
ولم تكن تتخيل يوما ما أن تصنع ذلك فلا ينبغى ولا يليق بها، فأرادت أن تسترضيه، لكن الشق بداخله سد منيع حجبه من الصفاء،

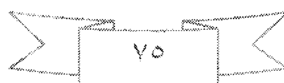
لتنتهى الحياة بلا عودة ، وينفصلان وتعود كما كانت معدومة، لا يصل بينهما الإ طفل وذكريات بعد أن أسدل الليل سدوله على قضيتها دون إيجاد جواب أو إطلاق أو تحرير .


٧٣

أشعر بالمرارة من هذه العناصر المماثلة، والإصرار على طرحها جانبا، وأتسائل إلى متى سنحفر أرضنا ونحن لا نملك بذرة واحدة؟ ، لماذا أصابنا الردى ونحن فى أوائل العمر؟ لماذ نحجب عن أنفسنا النور الشارح ونختفى عن الوجود الفالح؟ لماذا نذوب المعدن ونتركه ولا نستغله ليصبح إختراعا؟ لماذا نكون كالمهابيل نغالى فى السعي وراء تفاهات فى دنيا التعقل والإنتاج؟ لماذا لا نثور على المستحيل؟ لماذا ولماذا ولماذا؟ أتمنى من عدالة السماء أن تحل علينا برحمتها لأننا سئمنا التوجع .

"تمت"




٧٥

نبذه مختصرة عن الكاتب

القاص والروائي //محمد جميل

- لاعب كرة قدم سابق بالمحلة وعدة أندية درجة أولى
- صحفى بعدة مواقع و جرائد صغيرة
- ممثل مسرح بالفرقة القومية بالقليوبية
- موديلز كليبات(كليب واحد)
- راوى وقاص

******

